مجلة

العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Issued by Faculty of Arts - Alkhums - Elmergib University - Libya

29

العدد

التاسع

والعشرون

سبتمبر

2024م

تصنيف معامل التأثير العربي 2024م (2.05)

تصنيف معامل ارسيف Arcif 2024م (0.0185)

تصنيف الرقم الدولي (ISSN/2710-3781)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

صراع شعوب آسيا على احتواء المغول

إعداد أ. سمية علي ميلاد صبرة

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على دور المعتقدات الدينية في تحول واحتواء الحضارات البدائية، وكذلك إبراز دور المصاهرة والعقائد والتجارة في التأثير على السياسة، وتناولت الدراسة بداية تنافس وصراع شعوب آسيا على احتواء المغول، ولتحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على المنهج التاريخي السردي التحليلي، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الديانات السماوية والشرائع الإلهية تعتبر على مر العصور هي الدافع والعامل المحرك للسياسة، كما كشفت الدراسة على بروز التباين والاختلاف وحدة المنافسة بين المسيحية والإسلام حول احتواء المغول، كذلك أظهرت الدراسة أنه كان لكثير من الزوجات الغير مغوليات تأثير كبير في ميل أزواجهن إلى الإسلام، كما بينت الدراسة أيضًا أن تمتع الدولة المغولية بعدد كبير من الوزراء والموظفين ورجال الدين المتصوفون والتجار كل هذا أكسب المغول ثقافات جديدة عادت عليهم بالنفع والرقي والتقدم، مما زاد من حدة المنافسة بين الأديان، وكذلك أوضحت الدراسة أن الإسلام رغم الاضطهاد والتعصب الذي لاقاه من البوذيين والمسيحيين من الفائزين بهؤلاء المغول بسبب تطور الأحداث التي كانت لصالحه حيث نهضت علوم الدين وتقدمت الفنون والصناعات وظهر الكثير من العلماء والكتاب والمؤرخين وازدهر العمران والتجارة وبرزت مراكز الثقافة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الصراع – شعوب – آسيا – المغول.

Study summary:

The study aims to identify the role of religious beliefs in the transformation and containment of primitive civilizations, as well

as highlighting the role of intermarriage, beliefs and trade in influencing politics. The study dealt with the beginning of the competition and struggle of the peoples of Asia to contain the Mongols. To achieve the objectives of the study, the historical narrative analytical approach was relied upon. The results of the study showed that the heavenly religions and divine laws have been considered throughout the ages as the motive and driving factor of politics. The study also revealed the emergence of disparity, difference and intensity of competition between Christianity and Islam regarding the containment of the Mongols. The study also showed that many non-Mongol wives had a great influence on their husbands' inclination towards Islam. The study also showed that the Mongol state's enjoyment of a large number of ministers, employees, Sufi clerics and merchants, all of which gave the Mongols new cultures that brought them benefit, advancement and progress, which increased the intensity of competition between religions. The study also showed that Islam, despite the persecution and fanaticism it faced from Buddhists and Christians, was one of the winners of these Mongols due to the development of events that were in its favor, as religious sciences rose, arts and industries advanced, and many scholars, writers and historians appeared. Urbanization and trade flourished and Islamic cultural centers emerged.

المقدمـة:

بسم الله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

برز اسم المغول في التاريخ الإسلامي منذ القرن السابع الهجري والذي ارتبط اسمهم بالدمار والخراب والسفك والنهب والحرق الأمر الذي وضع معظم بلاد شرق آسيا الوسطى وهضبة منغوليا وسيبيريا وآسيا الغربية في يد حكام المغول الذين لم يعرفوا حضارة ولا رقيا، بداية باستيلاء جنكيز خان على بخاري وسمرقند وبلخ سنة 616-617هـ وإحراق مدينتي الرأي وأصفهان، وما قام به لاحقا هولاكو فيما سمي بنكبة بغداد 656هـ/1258م وغيرهم ممن ساروا على سياسة القتل والاغتصاب.

أدى هذا إلى قيام إمبراطورية مغولية ضخمة شملت معظم مناطق أنحاء آسيا التي تضم مجموعة من الشعوب تدين بالبوذية والمسيحية والاسلام، ونتيجة إلى اندماج السكان المحليين والوافدين لإحدى هذه الديانات، بدأ التنافس والصراع من قبل هذه الشعوب على احتواء المغول.

أولاً- منهجية الدراسة:

لقد كان المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي السردي التحليلي والوصفي الذي تتم فيه دراسة الحوادث والوقائع التاريخية بالتحليل والتعليل للوصول إلى الحقائق وإصلاحها وإبرازها وبيان أثرها على التاريخ العربي والإسلامي.

ثانيًا- سبب اختيار الموضوع:

إظهار دور الدين في احتواء الشعب المغولي، وأنه على مر العصور دافع وعامل محرك للسياسة.

ثالثًا- إشكالية الدراسة:

أرادت الباحثة إبراز الانعكاسات الدينية وتأثيره على التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية داخل وخارج الإمبراطورية المغولية، وأهمية الجانب الديني كمحرك ودافع لبناء الدول والحضارات وسبب في الصراع والتنافس بين الشعوب.

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

س1- ما أهداف الأديان السماوية ورجال الدين والباباوات والكهنة والمتصوفين دينيا وسياسيا في بلاد آسيا.

س2- ما هي العوامل التي أدت الى نجاح وفشل بعض الشعوب في احتواء المغول.

س3- ما هو دور بعض عوامل الانتشار والتغلغل الديني في الحياة العامة وتأثيره على حكام المغول.

رابعاً- أهمية وأهداف الدراسة:

يهتم هذا البحث بإبراز الانعكاسات الدينية وتأثيراتها على التنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية والاقتصادية داخل الإمبراطورية المغولية وخارجها، كما يهتم بإبراز دور المرأة والتصاهر في التأثير على الحياة السياسية.

وتستهدف الدراسة للتعرف على:

1- دور المعتقدات الدينية في تحول واحتواء الحضارات البدائية.

2- بيان دور المصاهرة والعقائد والتجارة في التأثير على السياسة.

3- الوقوف على الآثار المترتبة على فشل ونجاح الأديان في التغلغل في الحضارات.

خامساً– حدود الدراسة:

الحدود المكانية:

تتناول هذه الدراسة معظم أجزاء آسيا والمعروفة بآسيا الإسلامية الممتدة من شرق أسيا الوسطى حتى حدود الصين شرقا، وهضبة منغوليا وصحراء جوبي في الوسط، وأقاليم خاراسان وأذربيجان وسيبيريا شمالًا، وبلاد ما ورا النهر والعراق والشام غربا.

الحدود الزمنية:

تتناول هذه الدراسة الفترة الممتدة من منتصف القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ومنتصف القرن الثالث عشر الميلادي ونهاية القرن الخامس عشر الميلادي، أي الفترة ما بين (535–894هـ/1140–1489م)

سادساً– تقسيمات الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة الى خمسة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول أحوال المغول الجغرافية والدينية، في حين تناول المبحث الثاني العوامل التي أدت إلى تغلغل المسيحية بين المغول ونشاط الباباوية وملوك أوروبا الذين استغلوا عطف الحكام عليهم في نشر دينهم.

وتناول المبحث الثالث عوامل فشل النصرانية والبوذية في احتواء المغول، وتحدث المبحث الرابع عن انتشار الإسلام وأثر الزوجات المسلمات وتأثير الوزراء والموظفين على اسلام المغول، أما المبحث الخامس فتحدث عن الطرق الصوفية وتأثيرها على المغول وأثر التجار المسلمين في دخول كثير من المغول الى الإسلام، وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد

كان المغول يدينون بالوثنية فيما يعرف بالديانة الشامانية البدائية التي تقوم على عبادة الكواكب والأصنام وأرواح الأجداد القدامى، والقليل منهم يدين بالنصرانية، ومنهم من كان لا يدين بدين معين، فانتهز أصحاب كل من الديانتين المسيحية والبوذية فرصة ظهور المغول الذين كان معظمهم يدين بالوثنية على مسرح الأحداث، وعملوا على نشر دياناتهم بين المغول تحقيقًا لعدة أهداف منها: أن النساطرة الأرثوذكس أرادو أن ينتقموا من الإسلام الذي انتشر في بلاد كثيرة من آسيا على حساب المسيحية، وتحويل القبائل التركية والمغولية التي لا تزال على الوثنية، والتبشير بالمسيحية أيضًا بين المسلمين المهزومين في ذلك الوقت ودعما للقسطنطينية وغيرها من الدول المسيحية الشرقية، أمام ضغط سلاجقة الروم والمسلمين والتركمان والأيوبيين وسلاطين المماليك، إضافة إلى الانتقام لهزيمة حطين ونشر مذهبهم الكاثوليكي في بلاد آسيا تدعيما لنفوذهم وضمانا لرواج تجارتهم وتأمينًا لما كان يسمى بطريق الحرير، وأيضًا انتهز كهنة البوذية الفرصة لنشر ديانتهم ونفوذهم في كل آسيا بدءًا من معاقل البوذية في بلاد الهند وصولاً إلى شرق آسيا، لذلك أظهر هؤلاء المنافسون للإسلام من البوذيين والمسيحيين شرقيين وغربيين التقرب والمودة نحو المغول، ونجحو في اكتساب المغول وحوانيتهم وأمرائهم ووزرائهم، مما زاد حدة المنافسة في الاسلام.

المبحث الأول- نبذة جغرافية ودينية عن المغول:

كانت الأقاليم الشمالية الشرقية من آسيا منذ فجر التاريخ المكان الذي انبعثت منه الهجرات القبلية المتعددة والتي غزت أقاليم آسيا المختلفة، وأدت إلى هجرت القبائل التي كانت تعتمد على التنقل والترحال حسب الظروف، ومن هذه القبائل قبائل المغول[1].

فقد نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي، وهي أرض واسعة تنعدم المياه في بعض جهاتها، وكانت حاجزًا منيعًا بين الأقاليم الصينية الحارة، وبين الأراضي الباردة شمال سيبيريا، فقد جعلت الظروف الجغرافية من هذه الهضبة مكانًا يفتقر إلى الحياة، فالجبال المحيطة بها تمنع عنها الرياح الدافئة الممطرة في فصل الصيف، أما فصل الشتاء فكان مناخها شديد البرودة[2].

وعلى أثر ذلك انعدمت الزراعة في أكثر جهاتها، إلا في أماكن متفرقة، وبذلك فرضت هذه الظروف البيئية على سكان هذه البلاد أن يعيشوا عيشة رعوية، متنقلين من مكان إلى آخر سعيًا وراء الرزق، ويمكن أن نطلق على ذلك التنقل اسم "الهجرة" والتي أصبحت أهم الصفات التي يمتاز بها الشعب المغولي.

ونظرًا لأهمية الحضارة الصينية والحضارة الإسلامية في آسيا بدأ المغول بالاحتكاك بالعرب والفرس والترك، الأمر الذي أدى إلى استقرارهم، وفيما بعد إلى

([1]) هارت بيهل: الحضارة المغولية، الموسوعة البريطانية، الجزء 15، نيويورك، 1929، ص 705 .

([2]) محمد صالح القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970 ص 25 .

مهاجمة المسلمين مرورًا بالدولة الخوارزمية والدولة العباسية وحروبهم في بلاد الشام، وانتهاءً بدخولهم الإسلام[1].

أما بالنسبة لأحوال المغول الدينية فلم يكن عندهم طقوس دينية محددة ولا شرائع قضائية، ولكن بعد توحيد جنكيز خان لمعظم القبائل والعمل بأحكام "الياسا" التي تعتبر دستور فيه مزيج من القوانين موضوعة على إرادة الخان المغولي والعادات القبلية، وكان المغول يرجعون إليها في حالة الاستعداد للقتال وبعض الأمور الأخرى، ويحتوي الياسا على عدة عقوبات صارمة وحددت علاقة الحاكم بالمحكومين والمحكومين بعضهم ببعض وعلاقة الفرد بالقبيلة، وأيضًا جاءت بعدة مبادئ تتعلق بعقيدة المغول "أنه من زنا يقتل بحصن كان أو بغير حصن، وكذلك من لاط يقتل، ومن تعمد الكذب يقتل، ومن سحر يقتل، ومن تجسس يقتل"[2].

وجاء حديث لأحد ملوك المغول "منكو خان" نحن نعتقد بأن هناك إلهً واحداً، له نحيا وله نموت، وعندنا قلب يخفق بحبه، لكن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة، كذلك أعطى الناس طرقاً مختلفةً، ولم يكن جنكيز خان متحمسا لدين معين، ومال أولاده مع رغباتهم، فمنهم من مال إلى الاسلام، ومنهم من مال إلى المسيحية، وآخرون إلى عبادة الأصنام، وغيرهم حسب ما كان عليه الآباء والأجداد[3].

ومع ذلك كانت الديانة الرسمية للمغول تسمى الشاما نزم، وتمثلت في عبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس، وامتازت بشدة الطاعة لكهنتها الذين يتولون بدورهم الحياة الخاصة لأتباعهم، وهي ديانة قديمة عمل المغول رغم اختلافهم بإله

([1]) السيد الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص 3، 4

([2]) ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، مطبعة السعادة القاهرة، 1931، ص 118

([3]) اسماعيل الخالدي : العالم الاسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984، ص 33.

عظيم قادر لا يؤدون له الصلوات، كما عملوا على عبادة طائفة من الآلهة الشريرة بتقديم القرابين والضحايا، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامى التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياتهم، ومع هذا لجأ المغول إلى القساوسة من الشامان والسحرة الذين كانوا يعتبرونهم ذو نفوذ خفي، غير أن هذه الديانة والتعاليم الشامانية(*) لم تصعد أمام الديانات الأخرى التي احتك بها المغول، مما أدى إلى احتوائها حيث تحول المغول عنها إلى البوذية في الصين، والمسيحية في روسيا، والاسلام في البلاد الاسلامية (خوارزم وبخارى وسمرقند والرأي واصفهان وأذربيجان وخراسان...)[1].

المبحث الثاني: العوامل التي أدت إلى تغلغل المسيحية بين المغول ونشاط البابوية وملوك أوروبا في نشر دينهم

تأثير الزوجات المسيحيات:

تزوج حوانين المغول وايلخاناتهم وأمرائهم زوجات مسيحيات كان لهن تأثير في ميل أزواجهن إلى المسيحية واضطهاد الاسلام واشتعال المنافسة بينهم، نتيجة المصاهرات التي نشأت بينهم وبين القبائل المسيحية المغولية التي كانت تعيش داخل حدود الإمبراطورية، فزوجة جنكيز خان 596–624هـ كانت من قبيلة كرايت المسيحية، وأمها وزوجة ابنه اوكتاي 626–639هـ مسيحية من نفس الأسرة واسمها "تورجين"، ولذلك عندما اشتكى أهل جورجيا عام 638هـ إلى اوكتاي من عدم عدالة حكامها ووقوفهم مع المسلمين ضد المسيحيين، أرسل النساطرة إلى أرمينيا يحذر الحكام المغول هناك ويأمرهم أن يحموا الكنائس ويرعوا مصالح المسيحيين[2].

(*) الشامانية هي ظاهرة دينية تتضمن مجالات وممارسات الشامان (السحر والشعوذة).

(1) أرنولد توني، سر توماس : الدعوة إلى الاسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، ط 3، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1970، ص 51 .

(2) فؤاد عبدالمعطي الصياد: المغول في التاريخ، ج1، دار النهضة العربية بيروت، 1980.

كما زاد العطف على المسيحيين في عهد كيوك خان بن اوكتاي 644-647هـ، فقد كانت أمه تورجين ووزيره وأحد كتابه يدينون بالمسيحية مما أدى إلى تحالف مغول إيران ضد الأيوبيين، وقد أثمرت هذه الجهود أن رفعت من شأن الطوائف المسيحية من الفرنجة والروس والسريان والأرمن، ووصلت القبائل المسيحية من المغول والترك إلى مراكز السلطة، وأعطيت الفرصة لرجال الدين النساطرة لبث المسيحية في شرق آسيا وللتأثير على قادة المغول وزعمائهم من خلال النساء المسيحيات، مما آثار آمال المسيحيين في الشرق والغرب، ودفع بهم لإرسال بعثات جديدة إلى قراقورم لجذب الخوانين إلى المسيحية[1].

ويستمر التأثير المسيحي في عهد "منكو خان" 649-658هـ الذي كان يميل إلى المسيحيين والذي وصل في عهده العداء ضد الاسلام ذروته، ولكن برغم أن أمه كانت مسيحية إلا أنه لم يتأثر بها ورفض أن يتحول إلى المسيحية عندما دعاه بعض التجار الإيطاليين "ماركو بولو"، لأنه كان يراعي مشاعر الصينيين والخطائيين البوذيين الذي كان يعيش بينهم، ومراعاة لوالدته المسيحية وتذليلا على سماحته الدينية فقد عين "منكو خان" رفاقه في بعض المناصب المدنية وقام بنشر المسيحية وفتح الكنائس في العاصمة[2].

وكانت هذه السياسة متبعه في عواصم الإيلخانيات والممالك المغولية الأخرى نتيجة لنفس التأثير وهو الزوجات المسيحيات، "فهولاكو" إيلخان مغول إيران والمناطق المجاورة، كانت أمه مسيحية وزوجته "دوقوز خاتون" مسيحية نسطورية، لكنه لم يعتنق المسيحية إلا أنه أظهر عطفه عليها، وكان ذلك واضحاً في اعتناق بعض المغول وخاصة الذين احتلوا بلاد أرمينيا وجورجيا الدين المسيحي، كما تحمس هولاكو لغزو بغداد.

([1]) ابن العبري: آبو الفرج هارون الطبيب المالطي، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1890، ص45

([2]) مايكل براودن: الحملة المغولية، لندن، 1940، ص333-334.

وخلفه ابنه "أبغاخان" بن هولاكو واستمر على نفس السياسة، حيث دخل في البيعة في همدان في يوم عيد النصارى 681هـ، وأرسل السفراء إلى بعض ملوك أوروبا، فقد كانت أمه وزوجته مسيحيتان أيضاً.

أما في بلاد ما وراء النهر وتركستان وتحديداً في عهد جغتاي ابن جنكيز خان كان يقتل من يذبح على الطريقة الإسلامية وليس معروف سببه في ذلك لتأثره بأمه المسيحية أو لتأثره بالديانة الشامانية، ولم يكن للمسيحية نشاط تبشيري كبير كما في إيليخانية أيران لأن بلاد جغتاي أقرب إلى بلاد الصين حيث تسود الشامانية والبوذية والكنفوشيوسية، ولكن الأحوال الدينية تحولت في هذه الإيليخانية إلى صالح المسلمين عندما اعتنق السلطان "طرماشيرين 726–734هـ" الإسلام ونشره بين المغول في هذه البلاد وأنهى الصراع لصالح الإسلام[1].

نشاط البابوية وملوك أوروبا:

فقد ظهر هذا النشاط في ناحيتين الأولى التبشير بالمسيحية الكاثوليكية بين المغول والثانية التحالف مع المغول ضد الإسلام في مصر وبلاد الشام، على أثر سقوط دولة خوارزم والخلافة العباسية الذي مهد الطريق للأطماع الأوروبية وأواسط آسيا وغربها[2].

ولتحقيق ذلك أرسلوا البعثات والرسل لتكثيف الاتصال بقراقورم وبالعواصم المغولية الأخرى، فقد أرسل البابا أنونست الرابع عام 643هـ "بلاتودي كاريني" وراهباً آخر من رهبان الفرنسسكان إلى بلاط الخان الأعظم الذين استطاعوا التأثير على وزيرين من وزراء " كيوك " فاعتنقا الديانة المسيحية كما نرى بعثات مسيحية أخرى تتواعد على قراقورم وعلى عواصم الممالك المغولية، ففي عام 645هـ وفدت

(1) القلقشندي: صبح الأعشي، ج3، 4، طبع في مصر، ص311

(2) المقريزي، تقي الدين، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، 1934، ص4،7

على إيران بعثة دومنيكية أرسلها آنونست الرابع على رأسها راهب يدعى (أسلين) الذي عاد ومعه رسولين مغولين قابلا موظف البابا في إيطاليا[1].

لكن بعد وفاة كيوك خان وتولى منكو خان من بعده الذي اشترط على ملوك أوروبا الدخول في طاعته إذا أرادو التحالف معه، فقد نجح ملك أرمينيا المسيحي (هيثوم) في تقديم نفسه كتابع للخان الكبير وساعد في سقوط بغداد التي ابتهج المسيحيون فرحاً بتدميرها، وانتهز البابا إسكندر الرابع فرصة منح البركة كصفة للطابع الصليبي ومشاركة جيوش هيثوم ومنح البطريق الأرميني البركة أيضاً لهولاكو وأرسل بعثه تحثه على اعتناق المسيحية.

واستمر التعاون المسيحي المغولي بعد وفاة هولاكو في عهد ابنه (ابغا) حاكم إيران "664-680هـ" الذي دعمه بابوات روما الأربعة (كلمينت الرابع وجريجوري العاشر ويوحنا السادس والعشرون ونيقولا الثالث) بإرسال قوات ورسائل الى أبغا باعتناق المسيحية ومساعدتهم في بلاد الشام مما آثار المعارك بينه وبين الظاهر بيبرس[2].

كما إتجه آرغون بن آبغا بن هولاكو 682-690هـ إلى التحالف مع البابويه فأرسل الى البابا (أونريوس) الرابع يقترح عليه هجوم مشترك معه ضد سلاطين المماليك في الشام لكن محاولاتهم فشلت وفشل التحالف، وخلفه ابنه (غازان 694-704هـ) الذي تحول الى الإسلام وأصبحت إيران إسلامية منذ ذلك الوقت[3].

وقد ظهر نشاط البابويه مبكراً عام 656 هـ، في خانية القبيلة الذهبية فقد أرسلت بعثات كان هدفها نشر المسيحية وبناء الكنائس فنتج عن ذلك ان قوى النفوذ الكاثوليكي واشتداد نشاط تجارة جنوه الذي أدى إلى ازدياد التواجد المسيحي، وواصل البابوات إرسال المبشرين إلى أقصى بلاد الصين حيث نجح أحد المبشرين

([1]) ساوندرز: تاريخ الفتوحات المغولية، لندن، 1971، ص95،97

([2]) مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلامية، دار الفكر العربي، مصر. ص7،9.

([3]) المقريزي : المصدر السابق ، ج1، ص 4، 7.

أن يحول إلى المسيحية خلال سنوات قليلة عشرة آلاف مغولي وترجم الصلوات المسيحية إلى اللغة المغولية[1].

المبحث الثالث– عوامل فشل النصرانية والبوذية في احتواء المغول

يمكن إجمالها في عدت نقاط ليسهل على القارئ قراءتها وفهمها على النحو الآتي:

1. موقف وحياد المغول من الأديان فلم ينحازوا الى دين معين، وقد أشار الى هذا الموقف الكتاب المسلمين وغير المسلمين، فإن جنكيز خان ومعظم أولاده وأحفاده كانوا يقدرون العلماء والمتدينين من سائر المذاهب والأمم ويساوي بينهم وأسقطوا عنهم جميع الأوزان والتكاليف وأحسن إليهم وتمتعوا المسيحيون والمسلمون واليهود والبوذيون بكامل حريتهم في إقامة شعائرهم الدينية[2].

2. أعطت هذه السياسة وهذا الموقف الحيادي اتجاه الأديان وأصحابها والداعين لها الفرصة الكاملة للمنافسة الحرة بينهم، كما اتاحت الفرصة لإقامة المناظرات الدينية بين علماء الإسلام وعلماء المسيحية أو البوذية أو الشامانية، وكان لهذه المناظرات تأثيرها في تحول بعض المغول إلى الإسلام لما اتصف به من تسامح وعدل ووسطية.

3. عدم توافق المبشرين المسيحيين فيما بينهم، فقد كانت البعثات التبشيرية تنظر الى النساطرة على أنهم هراطقة فقد تنافسوا فيما بينهم على من يجذب كل منهم اتباع الآخر نحو مذهبه.

4. طلب البعثات التبشيرية المسيحية في دعوتها الخوانين التحول باسم البابا الى المسيحية والخضوع له، وقد فضل خوانين المغول في قراقورم اعتناق البوذية، وكذلك فعل معظم ايليخانات المغول في سمرقند وتبريز قبل تحولهم إلى الإسلام[3].

([1]) ابن حبيب : حسن بن عمر الحسن بن عمر، تذكرة البنية في أيام المنصور وبنيه، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، 1976، ص123.

([2]) ابن العبري: المصدر السابق، ص459.

([3]) ارنولد: المرجع السابق، ص251.

5. هزيمة المغول في عين جالوت عام 658 هـ، وفيما تلى ذلك من معارك نشبت بينهم وبين الظاهر بيبرس الذي تحالف مع مغول القبجاق الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام، مما دفع بمغول إيران الى الاهتمام بمصالحهم الخاصة وانصرفوا الى حد كبير عن تأييد المسيحية.

6. التنافس الشديد بين الديانة البوذية والإسلام، فكانت البوذية يدين بيها أغلبية شرقي الإمبراطورية المغولية، وكان الإسلام يدين به عرب الإمبراطورية.

7. تحول خوانين المغول إلى الإسلام أدى إلى قلة الكنائس التي كانت مزدهرة في البلاد المغولية[1].

8. ما قام به المسيحيون في غرب آسيا من تدمير في دمشق وغيرها من مدن الشام وإيران والعراق ووسط آسيا ضد المسلمين، أساء لهم وإلى سمعنهم، وأدى إلى تعرضهم لرد فعل عقب انسحاب المغول من بلاد الشام وتحول هؤلاء المغول إلى الإسلام.

9. تدفق الضغط الإسلامي القوي والمؤثر من ثلاث جهات الشرق خوارزم وتركستان، ومن الشمال "بلغار الفولجا" المسلمون، ومن الجنوب "سلاجقة الروم" المسلمون، بالإضافة الى تحالف القبجاق مع مصر قوى من الحركة الإسلامية واضعف من التبشير المسيحي في تلك البلاد[2].

10. فشل البوذية في معظم ممالك المغول الا واحدة "بلاد الصين والخطأ ومنغوليا" بسبب انقسامها على نفسها الى فرق متنافسة مثل الشامانية والهندوسية والكونفوشيوسيه أدى الى اضعافها وفشلها.

11. اعتناف غازان بن ارعون بن ابغا بن هولاكو 694هـ الإسلام الذي عمل عل نشره بين قومه من المغول، اضافت إلى أن الإسلام استقر في قلوب سكان بلاد القبجاق وحكامها من المغول قبل ذلك.

([1]) ابن حبيب: المصدر السابق، ج1، ص183.

([2]) ساوندرز: المرجع السابق، ص183.

12. تطور الأحوال في مملكة جغطاي "ما وراء النهر وتركستان" بدخول ملوكها الجغطائيين في الإسلام منذ عام 725هـ بسبب اشتداد الضغط عليها من ايران في الجنوب ومملكة القبيلة الذهبية من الشمال والغرب، الأمر الذي أدى الى انتشار الديانات الآخر[1].

المبحث الرابع– انتشار الإسلام بين المغول وأثر الزوجا المسلمات على اسلام المغول، وتأثير الوزراء والموظفين المسلمين

كان لزواج كثير من خوانين وايلخانات وأمراء وقوات المغول بتركيات وفارسيات مسلمات أثره في الأسر المغولية وفي بلاط المغول الذي أصبح يموج بالعديد من النساء المسلمات اللائي كان لهن تأثير في تحول رجال هذا البلاط إلى الإسلام، وضم أيضا المسلمات اللائي كن يشرفن على تربية الأولاد ويقمن بشؤن الخدمة في البيت، وكان لهذا أيضاً أثره في انتقال أساليب الحضارة الإسلامية في المعيشة والعادات والتقاليد إلى هذه الأسر المغولية البدائية.

ويخبرنا ابن العبري وكذلك رشيد الدين الهمداني ان هولاكو عند فتحه لبغداد سمح للخليفة "المستعصم بالله" باختيار مائة من نسائه، وبعد قتل الخليفة صار هذا العدد تحت حوزة هولاكو، وأن ابغاخان بن هولاكو كانت زوجته مسلمة، وأن أحمد تكودار بن هولاكو الذي كان أول من اسلم من إيلخانات إيران كانت زوجاته مسلمات، كما كانت إحدى زوجات ارغون خان بن ابغاخان بن هولاكو مسلمة وأم لإبنه غازان وسبب في اسلامه من حيث التربية والتنشئة، وبإسلامه اسلم معظم المغول[2].

([1]) ابن حبيب: المصدر السابق، ج1، ص185.

([2]) ابن العبري: المصدر السابق، ص450؛ رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، م2، ج1، ترجمة محمد الصادق نشأت ص242.

كما اتخذ الابن الثاني لأرغون زوجاته من المسلمات، وتسمى باسم السلطان محمد خدانبده وحكم إيران 703–716هـ، واستمر خوانين المغول بعد اسلامهم في طلب الزواج من بنات الملوك المسلمين مثل السلطان "اوزبك خان" سلطان القبيلة الذهبية الذي صاهر سلطان مصر "الناصر محمد بن قلوون" وهكذا أصبح البيت المغولي الحاكم يدين بالإسلام، مما أدى إلى نشأة جيل جديد من حكام المغول من أبوين مسلمين، وعمل هذا الجيل على تقوية الروابط بينه وبين المسلمين في البلدان الإسلامية الأخرى[1].

وكان المغول يحتفظون لزوجاتهم بقدر كبير من الاحترام والمنزلة السامية فكانوا في كتاباتهم "الفرمان" يقولون " عن آمر السلطان والخواتين " وكانت كل خاتون تمنح راتباً سنوياً كبيراً لا يقل عن راتب أمير الأمراء، وكان مجمع القوريلتاى لا يتم انعقاده الا بحضورهن، كما كن يتدخلن في عزل بعض الخوانين وارتقاء العرش للبعض الآخر، وهذا يذل على علو شأن هؤلاء الزوجات مما كن يتمتعن به من قدر ومنزلة عند أزواجهن.

وهذا يدل على التأثير الذي كان سبب في تحويل أزواجهن إلى الإسلام، والذين ساعدوا على اعتناقه ونشره في معظم أرجاء آسيا الإسلامية[2].

أما بخصوص تأثير الوزراء والموظفين المسلمين فنظراً لبداوة المغول وافتقارهم لمعرفة وسائل الإدارة والمالية فكان معظم وزرائهم وموظفيهم من زعماء المسلمين ومثقفيهم وفقهائهم، وبحكم الأمر الواقع لغزو هؤلاء أصبح على المسلمين البدء في التعامل معهم والتعايش السلمي كسياسة يستفيدوا منها، فأصبح لهؤلاء الموظفين المسلمين نفوذ كبير في دولة المغول وفي وظائف الحكم والإدارة والمالية[3].

([1]) أبوالفداء: كتاب تاريخه، ج4، القسطنطينية، 1869م، ص61.

([2]) سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة 1965 م، ص437–440.

([3]) القلقشندي: المصدر السابق، ج4، ص423–424

ففي إيران عين هولاكو نصر الدين محمد الطوسي مستشارا ووزيراً له والذي كان مسموعاً له، ومن العلماء البارزين في شتى العلوم وخاصةً علم الفلك، وكما صار له سلطة وحكم جميع الأوقاف في الدولة الإيليخانية.

ولم يكن الطوسي المستشار المسلم الوحيد فقد عين هولاكو أيضا " معين الدين بروانه " وزيراً له في بلاد سلاجقة الروم، كما عهد إلى الأمير" علي بهادر " بحكم بغداد الذي عين معه مؤيد الدين العلقمي وزيراً له، وفي عهد أحمد تكودار بن هولاكو أسند منصب الوزارة والمناصب العليا الأخرى إلى عدد كبير من المسلمين وارتفع شأن الإسلام وأقبل المغول بالآلاف على اعتناقه حتى أن الأمير "فيروزكوه" أسلم هو وثمانون ألفاً من اتباعه وكبار قومه من المغول.

كما قام هؤلاء الوزراء وغيرهم بإنشاء المساجد والمدارس والمراصد والمستشفيات التي بنت الروح في جسد الثقافة الإسلامية من جديد وعملوا على إحيائها حتى تسللت إلى عقول المغول وقلوبهم.

وكان لإسناد هذه الوظائف العليا وغيرها من الوظائف الى المسلمين الأثر الكبير في نقل الثقافة الإسلامية إلى الموظفين الآخرين من المغول، وفي انتشار الإسلام بينهم وبين خوانين المغول وأمرائهم نتيجة الاحتكاك والتعايش السلمي والاتصال الدائم[1].

المبحث الخامس: الطرق الصوفية وتأثيرها على المغول وأثر التجارة في إسلام المغول

بدل الصوفيون جهدهم لتحويل المغول الوثنيين إلى الإسلام، ومما شجعهم على ذلك أن المغول كانوا يكنون احتراما كبيرا لهم، فكان موقف جنكيزخان من الصوفي الكبير الشيخ "نجم الدين الكبرا" مؤسس الطريقة الكبراوية طالباً منه الخروج من

(1) ابن القوطي: كمال الدين عبد الرزاق أحمد الشيباني، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، 1962، ص29 –30

خوارزم حتى لا يتعرض للأذى أثناء الغزو المغولي لها، فرفش الشيخ طلبه واشترك في المقاومة أثناءها.

وكان بعض الناس يستغلون احترام المغول للصوفيين فكانوا يلبسون خرقة الصوفية ويتشبهون بهم حتى لا ينالهم أذى المغول، وحينئذ أدرك الصوفيون لا فائدة من المقاومة العسكرية فعملوا على تحويل هؤلاء المغول الى الاسلام بالطريقة السلمية فكان لطريقة الخواجات التي أسسها "يوسف همداني" سنة 535هـ في خراسان، والطريقة الكبراوية التي أسسها "نجم الدين الكبرا" سنة 618هـ في بخاري، والطريقة القادرية التي أسسها "عبد القادر الجيلاني" سنة 562هـ في بغداد، وغيرها من الطرق الأربعة عشر التي انتشرت في ايران وخارجها[1].

أما بخصوص اثر التجارة في اسلام المغول، فكان للتجار المسلمين الدور الكبير في دخول الكثير من المغول الى الإسلام، نظرا لان المغول يعتبرون النشاط التجاري العمود الفقري للحياة الاقتصادية في بلادهم لقلة الموارد الأخرى، ولهذا عمل جنكيز خان على تشجيع حركة التجارة العالمية التي كانت تمر عبر امبراطورية ووضع له ا قانون صارم لمقاومة اللصوص وقطاع الطرق، كما حصن الواحات والمزارع ونظم البريد.

فكان رجال هذه الطرق الصوفية يقومون بدور المدرسين في المدارس والوعاظ في المساجد لمقاومة الظلم والاضطهاد والاستغلال على يد الحكام وأعوانهم، ومقاومة أيضاً النشاط التبشيري المسيحي المدعوم من ملوك أوروبا وبابوات روما ونجحوا في ذلك، وتوج نجاحهم بانتشار الإسلام بين المغول أنفسهم في ايران، وتركستان، وماوراء النهر، وبلاد القفجاق[2].

فقد اتبع الشيخ "نجم الدين الكبرا" عدد كبير من المريديين والتلاميذ مثل: الشيخ نجم الدين الرازي والشيخ جمال الدين الجيلاني، والشيخ مجد الدين البغدادي...

([1]) ابن القوطي: المصدر نفسه، ص 127–128.

([2]) بيرتولد: التركيون تحت الاحتلال المغولي، لندن، 1928، ص470.

وغيرهم، وقد كرسوا هؤلاء حياتهم للوعظ والإرشاد وتلقين مبادئ الإسلام للمغول، وعمل بعضهم في البلاط المغولي ونجحوا في ذلك، فقد اعتنق الإسلام " بركه خان " سلطان المغول في قفجاق، واستمرت الطريقة الكبراوية تؤدي واجبها في هداية المغول الى الإسلام حتى عهد التيموريين[1].

وقد نتج عن جهود كل هؤلاء الصوفيين والوعاظ والعلماء أن دخل مغول آسيا في الإسلام واصبحوا يحافظون على حدوده ويتمسكون بتعاليمه.

وبذلك عم الأمان وقدم التجار الى قراقورم وتحصلوا على امتيازات كثيرة منها الإعفاء من الضرائب، وقاموا برحلات منظمة عبر سيا مروراً بإيران وما ورائها وصولاً إلى الصين[2].

ولهذا قام جنكيزخان وخلفائه بإعادة تعمير كثير من المدن التي كان أصابها الخراب والدمار، فازدهرت المدن وتوافد عليها التجار من أنحاء العالم، وأصبحت مدينة تبريز مزدحمة بالسكان ووصل عدد سكانها في عام 700هـ إلى ثلاثة مائة ألف نسمة، حيث أصبحت محطة تجارية هامة وسوقا تجاري يربط الشرق بالغرب، أما مدينة سلطانية فقد كانت حلقة وصل بين البحر المتوسط وسواحا البحر الأسود وقد صاحب هذا النشاط التجاري دعوة لنشر الاسلام بين المغول، حيث كان كثير من التجار دعاة للإسلام في الوقت نقه، وكان لأصحاب الأموال دورهم في بناء المدارس والمساجد ولهم تأثير كبير على البلاط المغولي، إضافة إلى أن بعض وزرا ء المغول كانوا أساساً من التجار الأثرياء، فوزير جنكيزخان "محمود يلواج" حاكم بكين كان ثرياً وابنه "مسعود" حاكم بلاد ما ورا النهر[3].

وهناك تجار مسلمون احتلوا نفس مكانة "محمود يلواج" مثل التار المسلم "عبد الرحمن" الذي كان مستشار لجنكيزخان واوكتاي من بعده.

([1]) مايكل براودن: المرجع السابق، ص 625–628.

([2]) ساو ندرز: المرجع السابق، ص68–69.

([3]) بارتولد: المرجع السابق، 185–186.

وقد نجح التجار المسلمين في تحويل بعض ايليخانات المغول وملوكهم إل الإسلام مثل "بركه خان" سلطان القبيلة الذهبية الذي دخل الإسلام على يد تاجرين وافدين من بخارى سألهما عن عقائد الإسلام فشرحها له شرحا مقنعاً وامتلأت بلاده بالتجار المسلمين من ايران والعراق والشام ومصر.

فكان هؤلاء التجار وغيرهم وسيلة هامة لنقل المؤثرات الحضارية الإسلامية الى هؤلاء المغول عن طريق مخالطتهم والتعايش معهم والاحتكاك بهم، بالإضافة ال ان سلاطين المغول كانوا يشجعون هذه المراكز التجارية مما عاد عليهم بالنفع والرقي واكتساب شعوب وثقافات وديانات جديدة، وبذلك يمكن القول أن الإسلام لعب دوراً في تجديد وتجدد هؤلاء المغول الوثنيون واكسابهم ثقافات حضارية ودينية " إسلامية " أعطتهم دافع للعمل والبناء والتقدم والتطور والتعاون والتسامح والعدل والعبادة وطاعة الله وولي الأمر[1].

الخاتمة

في نهاية هذا البحث ظهرت لنا صفحات مطوية من تاريخ المغول، وتفاعله مع الديانات السماوية، كحضارة لها مبادئ ومقاييس تنطق بالعظمى في عدة جوانب نسترسل منها ما ذكره المؤرخين وكتبوا عنهم ممن عاصروا الأحداث، وممن كتب بعدهم من كتاب وباحثين، والتي جاءت حسب تحليل واستنتاج الباحثة كالآتي:

1. أن الديانات السماوية والشرائع الإلهية تعتبر على مر العصور دافع وعامل محرك للسياسة، بل قد تكون سياسة في حد ذاتها، وخير دليل ما قام به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في يثرب عند قدومه لها ببناء العقيدة لمدة تزيد عن عشرة سنوات، كسياسة اصلح بها العقول والقلوب وطهر بها الأنفس، فنجد أن هذا الدافع والمحرك الديني لعب دوراً في التأثير على أفكار وعقول المغول التي لم تعرف الا السفك والقتل والنهب والخراب والدمار.

(1) مايكل براودن: المرجع السابق، ص332.

2. زوال وتلاشي ما يعرف بالديانة الشامانية في معظم ارجاء آسيا، وحل محلها البوذية والمسيحية والاسلام، إضافة إلى قانون "الياسا" فيما بعد، لآن المغول بطبيعتهم لم يكونوا متحمسين لدين معين، وهذا راجع حسب رأي الباحثة إلى بربريتهم وإلى عدم تحضرهم وجهلهم بالخالق وشريعته وطبيعة الحياة الروحية والمادية، واشتغالهم بحياتهم الخاصة من رعي وتنقل وصيد وترحال.

3. بروز التباين والاختلاف وحدة المنافسة بين المسيحية والإسلام حول احتواء واكتساب خوانين وامراء ووزراء المغول وهذا يرجع الى الصراع بينهما منذ ظهور الإسلام، وما صاحبه من دسائس ومؤامرات وحروب عن طريق الكهنة والبابوات والقادة والحكام طول هذه الفترة.

4. كان لكثير من الزوجات الغير مغوليات تأثير كبير في ميل أزواجهن الى الإسلام، كما عملن على فتح المعابد والمساجد والكنائس في العاصمة قراقورم وباقي العواصم الأخرى.

5. تمتعت الدولة المغولية بعدد كبير من الوزراء والموظفين والكهنة ورجال الدين المتصوفون والتجار، كل هذا اكسب المغول ثقافات جديدة عادت عليهم بالنفع والرقي والتقدم، مما زاد من حدة المنافسة ومراعاة المصالح بين الأديان، وأدى الى فشل احداهما ونجاح الأخرى.

6. كان الإسلام رغم الاضطهاد والتعصب الذي لاقاه من البوذيين والمسيحيين من الفائزين بهؤلاء المغول بسبب تطور الأحداث التي كانت تصب لصالحه، حيث نهضت علوم الدين وتقدمت الفنون والصناعات وظهر الكثير من العلماء والكتاب والمؤرخين، وازدهر العمران والتجارة، وبرزت مراكز الثقافة الإسلامية، وهكذا لعب العامل الديني دوره وتأثيره على خوانين وحكام المغول وعلى الحياة العامة في الإمبراطورية المغولية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1- ابن حبيب: حسن بن عمر بن الحسن بن عمر، تذكرة البنية في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين مراجعة سعيد عبدالفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1976م.

2- أبو الفداء : تاريخه، ج4، القسطنطينية، 1869م.

3- ابن العبري: أبو الفرج بن هارون الطبيب، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1890 م.

4- ابن القوطي: كمال الدين عبد الرزاق أحمد الشيباني، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، المكتبة العربية، بغداد 1962 م.

5- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، الجزء الثالث عشر، مطبعة السعادة، مصر، 1931 م.

6- القلقشندي: صبح الأعشى، الجزء الثالث، الجزء الرابع، طبع في مصر (د.ت).

7- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، المجلد الثاني، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1934 م.

8- رشيد الدين فضل الله الهمداني: جامع التواريخ، الجزء الأول، المجلد الثاني، تحقيق محمد صادق نشأة، فؤاد عبد المعطي الصياد، طبعة وزارة الثقافة، مصر (د.ت).

ثانياً- المراجع العربية:

1- سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة 1965م.

2- السيد الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت 1967م.

3- فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

4- إسماعيل الخالدي : العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984م.

5- مصطفى طه بدر: مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربي، مصر، (د.ت).

6- محمد صالح القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970م.

ثالثاً- المراجع المعربة:

1- ارنولد توني: سرتوماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النمراوي الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، 1970م.

2- بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الصغرى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960م.

رابعاً- المراجع الأجنبية:

1- بير تولد: التركيون تحت الاحتلال المغولي، لندن، 1928 م.

2- ساوندرز: تاريخ الفتوحات المغولية، لندن، 1971 م.

3- مايكل براون: الحملة المغولية، لندن، 1940 م.

4- هارت بيهل: الحضارة المغولية، الموسوعة البريطانية، الجزء الخامس عشر، نيويورك، 1929م.

* * *